

## فلسفة

# جاستن سميث: انتصار العقلانية مستحيل!

«اللاعقلانية: تاريخ جانب العقلانية المظلم» (يوب 2019) لجاستن سميث مؤلف فلسفي يبحث في مسألة العقلانية واللاعقلانية. مؤلف الكتاب الفرنسي هو أستاذ التاريخ وفلسفة العلوم في «جامعة باريس 7». في تمهيدته للعمل، يروي الكاتب قصة أو لنقل أسطورة – كما يرى هو – عن الفيلسوف والكاتب والشاعر الأثيني هيبياس الذي كان من أتباع المدرسة الفيثاغورية، التي تعد في الوقت نفسه أخوية. تقول الرواية/الأسطورة إن أتباعه أخذوا قتلوه لأنه أفضى أهم أسرارهم لمن هم ليسوا منها. كتب هيبياس: «لا يمكن بناء العالم من أرقام. إذا كان العالم مبنياً على أرقام، فكيف يمكن أن يكون الرقم ما يميز اكتشافه الطائفة أخيراً من قطري مربع؛ إنه غير قابل للتوافق مع جانب المربع. إذا حاول المرء حسابه، سينتهي الأمر به إلى سلسلة عشرية ليس لها نهاية طبيعية. ذلك ليس ممكناً، إذا لم تكن هناك حقيقة محددة حول هذا الرقم، فكيف يمكن أن يكون الرقم ما يميز شيئاً معيّنًا في العالم؟ لا ، هذا خطأ. إنه غير منطقي».

قضية هيبياس - حسب قول يابوس - هي في ظن الكاتب مجرد حالة أخرى في هذا الزمن الطويل والمتكرر للتاريخ، لكن هناك أيضاً شيء مميز حوله. الاكتشافات التي أعطتنا أسلحة نووية لم تكشف عن أي شيء غير منطقي حول كيفية عمل العالم. لقد أدركنا بالفعل أن العالم يتكون من العديد من الأشياء التي تكون شديدة الحرارة أو شديدة البرودة أو شديدة التآكل أو منقطعة عندما تكون متوافقة مع حياة الإنسان. لقد اتاحت لنا هذه الاكتشافات المزيد من الفحص لتكون شيريرين تجاه بعضها بعضاً، بل حتى على نطاق

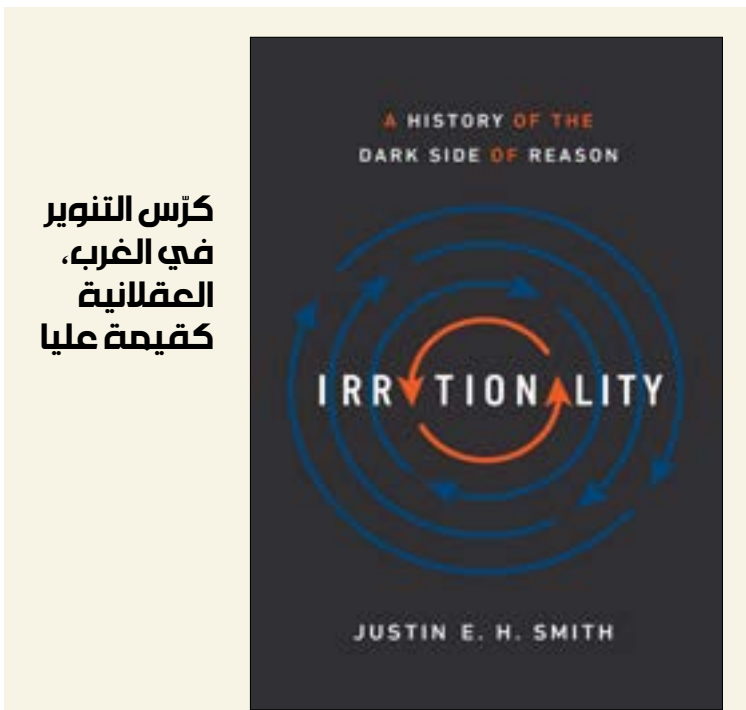
## مذكرات

# لودميلا بفلتشنكو... القناصة الحمراء

كتاب «أنا قناصة في معارك دفاعاً عن سفسنبول وأوديسا» (عنوان النسخة الروسية) الذي صدر بالإنجليزية عن «غرينهيل بوكس» بعنوان آخر، اخترنا عرضه في ذكرى مرور يوم النصر على النازية والفاشية، أي يوم استسلام ألمانيا النازية رسمياً لقوات التحالف الواقع في التاسع من شهر أيار (مايو) 1945. إن أن القيادة النازية كانت قد استسلمت للقوات الأميركية في نهاية شهر نيسان (أبريل) من العام نفسه، لكن موسكو احتجت على ذلك لأن الاتفاق بينها وبين واشنطن كان على أن الاستسلام يتم لقيادتي الطرفين العسكريين. اختيار هذا المؤلف المثير لهو اعتراف بالدور المهم الذي مارسه الاتحاد السوفييتي دفاعاً عنا حيث سقط له ضحايا كثر في معارك التصدي

إعدادة العدو الصهيوني، ولا ننسى أيضاً دوره في الدفاع عن سوريا في وجه الإرهاب الناطوي والإرهاب الإسلامي-التكفيري.

لا شك في أن تاريخ الحرب العالمية الثانية ما زال مقللاً بأسرار كثيرة منها ما كشف أخيراً عن أن لندن وباريس كانتا جندتي مهاجمة مراكز استخراج البترول في باكو التي كانت وقتها ضمن حدود الاتحاد السوفيتي، وكانت تمت ألمانيا بما تحتاج إليه من النفط وفق رأي سادة بريطانيا وفرنسا. لقد فقد الاتحاد السوفييتي نحو سبعين مليون ضحية في الحرب وخسائر مادية لا حصر لها. على سبيل المثال، فقد نحو مليون جندي في معركة ستالينغراد



المقررة له، والموسيقى عندما تنفصل عن الملاحظات على الورقة وتأخذ حياة خاصة بها. إنها تشمل الجزء الأكبر من حياة الإنسان، وربما تحكم معظم فترات تاريخ البشرية، وربما تسود دائماً، في حين أن الفترات التاريخية التي يقع فيها البشر أنفسهم بأنهم نجحوا في إبقائها في مازق، قليلة ومتباعدة.

أي انتصار للعقلانية هو مؤقت وقابل للقلب، أي جهد طوباوي لتنظيم الأمور تنظيمياً دائماً من أجل القضاء على التطرف وتأمين حياة هادئة مرجحة للجميع داخل مجتمع مبني على مبادئ عقلانية، محكوم عليه بالفشل منذ البداية. إذ تكمن المشكلة في

## كلمات

إعداد زياد منته

غالباً ما قاد إلى انفجار اللاعقلانية. إنها قصة لا يمكننا التوقف عن الحديث فيها. الإغريق، كما يُقال، اخترعوا اللاعقلانية. وفي وقت لاحق، كرس التنوير في الغرب، العقلانية كقيمة عليا وإطلقنا على أنفسنا مصطلح الحيوان العقلاني. لكن هل هذه القصة المذهلة بحد ذاتها عقلانية؟ في هذا الحساب الشامل للعقلانية من العصور القديمة وحتى اليوم - من مقتل هيبياس في القرن الخامس قبل الميلاد لكشفه عن وجود أرقام غير عقلانية إلى صعود الغوغاء على تويتز وانتخاب دونالد ترامب، يقول جيبستين سميث إن الأداة تشير إلى عكس ذلك. من الجنس والموسيقى إلى الدين والحرب، تشكل اللاعقلانية الجزء الأكبر من حياة الإنسان وتاريخه. اللاعقلانية تتراوح بين الفلسفة والسياسة والأحداث الجارية. في تحدّ للتفكير التقليدي حول المنطق، والعقل الطبيعي، والأحلام، والفن والعلوم، والعلوم الزائفة، والتنوير، والإنترنت، والنكات والإكاذيب، والموت، وهي مواد فصول المؤلف التسعة، يوضح الكتاب كيف يكشف التاريخ أن أي انتصار للعقل مؤقت وقابل للقلب، وأن المخططات المنطقية، بما في ذلك العديد من وادي السيليكون، غالباً ما تؤدي إلى عكس العكس. يبدو أنه كلما كافحنا أكثر من أجل العقلانية، انتهينا إلى اللاعقلانية. رغبة في فرض العقلانية، وجعل الناس أو المجتمع أكثر عقلانية، تتحول كقاعدة عامة إلى نوبات مذهلة من اللاعقلانية. إما أنها تثير اللاعقلانية للقلب، أي جهد طوباوي لتنظيم الأمور نظيمياً دائماً من أجل القضاء على التطرف وتأمين حياة هادئة مرجحة للجميع داخل مجتمع مبني على قاعدة القلة المستنيرة على العامة.

هذا التاريخ للسعي وراء العقلانية

## كلمات

## اقتصاد

# باتريك جاي. دينين: لهذه الأسباب أخفق النظام الليبرالي

ثمة عدد متزايد من المفكرين يشككون في جدوى النظام الليبرالي السائد في العالم بعد هزيمة الشيوعية. وخير دليل على ذلك عدد الأعمال التي تنتقدُه وإقبال القراء الكبير عليها وكثرة المناقشات التي تجري في هذا الخصوص، بما في ذلك كتاب «لماذا أخفق النظام الليبرالي» (منشورات جامعة يال ـ 2018) باتريك جاي. دينين الذي حظي باهتمام واسع ليس بين أهل الاختصاص فحسب وإنما بين القراء عموماً. لكننا نرى الآن أن الليبرالية صموت كما حصل مع الشيوعية. الأطراف تنهار بداية مع المجر وبولندا وغيرهما في شرقي أوروبا. الأ نموذج الأميركي الساطع الآن لم يعد يجذب أحداً، حتى في دول أوروبية غربية مثل ألمانيا الموحدة ترسخ فيها الخيار الليبرالي. حتى إذا صوبنا نظرتنا تجاه دول إسلامية مثل تركيا، كان يفترض بثورة أتاتورك أن تكون مثلاً لدولة ذات غالبية مسلمة وغربية وديمقراطية. اليوم هي غير الليبرالية بغض الطرف عن ديمقراطيتها، وأصبحت أقل علمانية وأكثر عصبية من ذي قبل وأقل توجهها نحو الغرب.

لا شك في أن النظام الليبرالي حقق نجاحات مهمة للبشرية، لكنه أخفق في أمور أساس وجوهية مثل المساوة، حيث نرى التفاوت الهائل في الدخل والشروات بين أقلية ضئيلة للغاية وأغلبية ساحقة. النظام الليبرالي هو الذي سبب نجاح البهض في تكديس الثروات على سبيل المثال، لكن أسباب إخفاقاته تكمن في نجاحه، أي أن هذا النظام حمل في داخله أسباب نجاحاته ومن ثم زواله الحتمي. نحن نعلم أن هزيمة الشيوعية في الاتحاد السوفييتي أثارَت موجة حماس بين بعض المفكرين في الغرب الذي ظنوا أن الرأسمالية هي النهاية الحتمية للبشرية، مغفلين حقيقة التقنيات التي جعلتنا وحيدين مثل

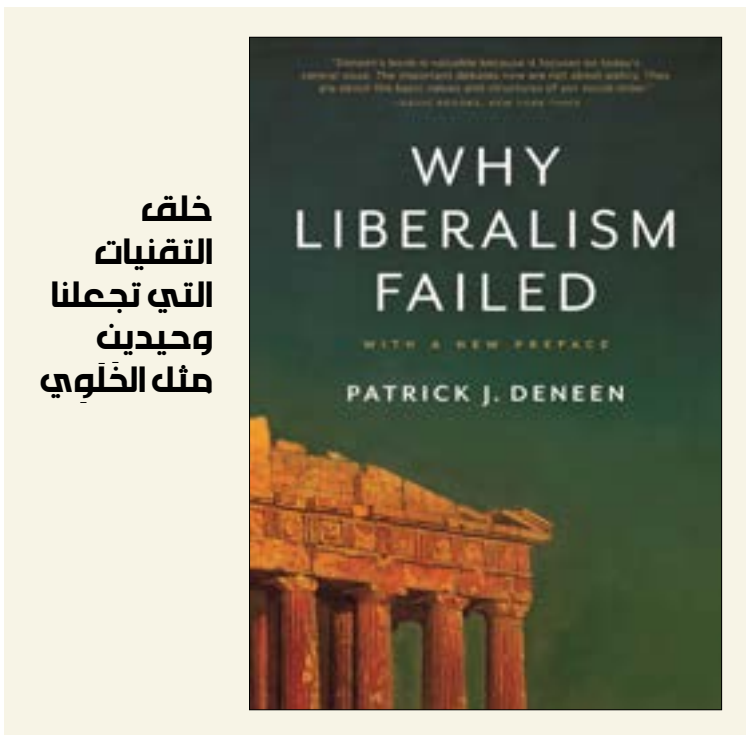
## سيرة

# لينا هوخينا: يوهيات لينينغراد المحاصرة

«مذكرات لينا موخينا: حياتي في مدينة لينينغراد المحاصرة» مؤلف آخر أردنا عرضه هنا لأن كاتبته، وهي مواطنة سوفيتية من مدينة فوجنت بكيفية تعاطي الأميركيين مع الحرب، ونهلت لسخافة أسئلة الصحافيين الأميركيين. فمن الأسئلة التي طرحت عليها أي مكياج تستعمل وطول ثوبتها وما إذا كانت تستحم على الجبهة وحتى ما لون ملابسها الداخلية، مما دفعها لتشبيههم بالقوات النازية المهاجمة التي كانت تسعى إلى إرهاب العدو. كما رفضت باحتقار عرض شرط تصنيع سجائر أميركية لوضع صورتها على غلب السجائر مقابل نصف مليون دولار. ولا يمكن نسيان مواجهةها الفظيعة الأولى مع سيدة البيت الأبيض إلينور روزفلت، ما اضطر الأخيرة لغادرة طاولة الطعام.

النواضع لم يكن ينقصها. فعندما هناها قائد الجبهة في سفسنبول على أصاباتها الكثيرة في صفوف العدو، أجابت إنهم «كان يهجمون بناعداد كثيرة حتى صار من غير الممكن إخطاء الهدف. لقد تعرضت لورميلا لجراح كثيرة، جسدية ونفسية، لكنها عاشت لتكتب مذكراتها الثمينة قبل وفاتها عام 1974 عن عمر 58 عاماً.

\* I am a sniper: In Battles for Sevastopol and Odessa. greenhill Books 2015/ 2018. translation from russian: Alla Igorevna Begunova. 216 pp with many illustrations



الخُلوي وهي تخلق مؤسسات تفردنا. فتقافة الربط وإيمان الوتائف المحمولة، أي الخُلوي من علامات الإنهيار الحضاري، لأن الليبرالية تجعل من الأفراد منفصلين ومستقلين وحيدين ولا علاقة للفرد بالعلاقات. وفي المدارس يتم استبدال الفوضى الواسعة النطاق والغش بقواعد الخواضع والرفاه والصدق التعليمي. كما إننا نواجه ضعفاً سياسياً والانخراط في إجبارنا على اختيارات لا تمثل في جوهرها سوى العبودية. في الوقت نفسه، الكاتب يرى أن الليبرالية فلسفة سياسية تم إطلاقها سُمولاً بكتير». وهو يرى أيضاً أن أهم عواقب الليبرالية سلبية، إذ إنها تخلق عدم المساواة الهائلة، وتفرض الانساق

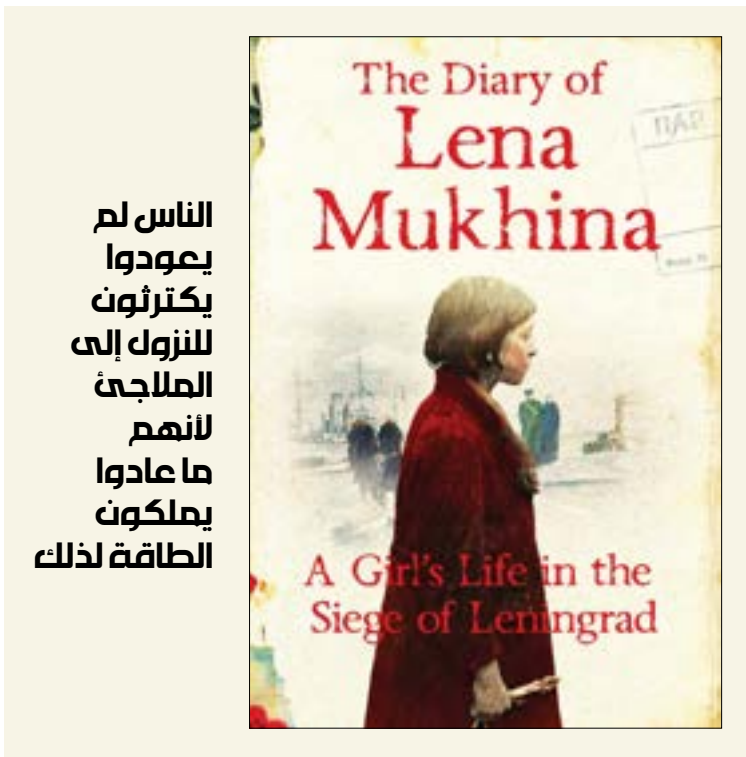
السبت 1 حزيران 2019 العدد 3772
الأخبار

# باتريك جاي. دينين: لهذه الأسباب أخفق النظام الليبرالي

1826) وجون ديوي (John Dewey، 1859-1952) وغيرهم، قادت إلى قيام السوق الحرة، والأحلام المركزية الكبيرة للعمل معا لتحرير الأفراد من بعضهم، بما حتى تحريرهم من طبيعتهم الخاصة، بما قاد بدوره إلى فقدان الفضيلة وإشاعة القلق الدائم خاصة بالعلاقة مع التكنولوجيا، وكذلك الشعور بالعجز والتغرب تجاه حكم الذات، وسلسلة من الكوارث المالية والبيئية والوشيقة. يوضح الكاتب في عمله أنه لا يريد بقاء الليبرالية، لكن من دون تقديم بديل. مع ذلك، فقد نجح هذا الكتاب في الحصول على عروض ومراجعات كثيرة، من كتاب تقديميين ومفكرين محافظين، وهذا أمر يدعو للدهشة، آخذين في الاعتبار أن الكتاب مسجحي كاتوليكي محافظ، وناقد لإفكار اليمين الأميركي بما في ذلك الاقتصاد الرأسمالي. لقد نجح الكاتب في اجتذاب اهتمامات الطرفين اليميني والتقدمي لأنه يهاجم الرأسمالية والثقافة اليسارية. النقطة الأخيرة هي قول الكاتب إن حقوق اليوم واسع لقائد قوي ذي إرادة لاستعادة السيطرة الشعبية على أشكال الليبرالية للحكومة البروقراطية

والاقتصاد الممول، يأتي بعد عقود من التحكك الليبرالي للمعايير الثقافية والعدادات السياسية الضرورية للحكم الذاتي. التحرير الاقتصادي الذي لا يرحم، ترك كثيراً من الناس غير أميين مادياً، والتحرير القفاي الذي لا هودة فيه جعلهم في وضع غير مستقر، والعلاقات المحلية (communal) يتم التخلي عنها لتشجيع قوة عاملة متنقلة، والخربة تصعب شيئاً للحكومة القوية على نحو متزايد، فإما أن تمنحها أو تحجبها.

\* Why Liberalism Failed (Politics and Culture) by Patrick J. Deneen - Yale University Press - 2018



لينا كتبت أن السكان اضطروا لأكل الورق المقوى مع الغراء الذي يستعمله التجارون، ثم اضطرت لأكل قطنها لتفادي التضور. وتلاحظ أن القطن الذي كتبت أن السكان صعباً، بينما الجانون جراء قصف قوات الحصار النازية المكثف الذي طال حتى مخازن الحبوب والطعام والمطابخ الجماعية والمدنها، عاشت لينا لتشهد وفاة والدتها وخالتها وصديقة لها كانت

125 غراماً من الخبز يومياً). تعليقات مماثلة كانت نادرة في اليوميات، لكن

بؤس كانت الأحياء ممتب حيث في أحد الأيام، كتبت أن السكان صعباً، بينما

الجانون جراء قصف قوات الحصار النازية المكثف الذي طال حتى مخازن الحبوب والطعام والمطابخ الجماعية والمدنها، عاشت لينا لتشهد وفاة والدتها وخالتها وصديقة لها كانت

\* The Diary of Lena Mukhina: A Girl's Life in the Siege of Leningrad Hardcover by Lena Mukhina (Author), Amanda Love Darragh (Translator) Pan Macmillan2016.